Lamia HUSSEIN ¹

**LITERATURE OF TRANSLATED LETTERS AND TECHNIQUE
OF DESCRIPTION MARCEL PROUST'S LETTERS AS A CASE
STUDY**

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.2-3.14>

Research Article

Received:

09/12/2020

Accepted:

06/01/2021

Published:

01/02/2021

Abstract:

The study deals with some of the translated letters of (Marcel Proust), in which I showed the effect of translation and the role of the translator in conveying Marcel's idea in some of his private letters. From among the two hundred and forty-one letters, I chose models that focused on techniques, especially the descriptive, social, and psychological narration between the internal approach and the collision in the character of (Marcel), as well as explaining the effect of memory he had on these techniques despite the illness that had accompanied him throughout his life.

Key words: Literature of Translated Letters, Marcel Proust's, Psychological Narration.

This article has been
scanned by **iThenticat**
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

¹ Dr. , Baghdad University, Iraq, hussainlameaa@gmail.com, <https://orcid.org/0000-0001-7748-8698>

أدب الرسائل المترجمة وتقنية الوصف رسائل (مارسيل بروس) أنموذجاً

لمياء حسين علي²

الملخص

هذا بحثٌ وقفْتُ فيه على بعض رسائل (مارسيل بروس) المترجمة، وقد بيّنتُ فيه أثر الترجمة ودور المترجم في إيصال فكرة المؤلف ومبتغاه في تلك الرسائل الخاصة. وقد اخترتُ بعضاً من تلك الرسائل التي بلغت إحدى وأربعين ومئتين، وكان سبب الاختيار على بعضها؛ إنَّها ركزت على تقنيات الوصف، وبخاصة السرد الوصفي والاجتماعي، والنفسي الذي يقع بين المنولوج الداخلي والتداعي في شخصية (مارسيل)، فضلاً عن بيان أثر الذاكرة لديه في تلك التقنيات على الرغم من أن المرض قد لازمه طوال عمره. **الكلمات المفتاحية:** أدب الرسائل المترجمة، مارسيل بروس، السرد النفسي.

المقدمة:

موضوع هذا البحث من الموضوعات التي وجدتُها جديرة بالاهتمام بأن أسلط الضوء على أدب الرسائل المترجمة من الإنكليزية إلى العربية متخذة من رسائل (مارسيل بروس) أحد أبرز روائي القرن العشرين موضوعاً للدراسة. ترجم رسائل (مارسيل) من الإنكليزية إلى العربية الدكتور (ربيع صالح) وبلغ مجموعها إحدى وأربعين ومئتين رسالة. تحدثت مع المترجم عن طبيعة ترجمته للرسائل، وهل أفقدت الترجمة روح النص الأصلي؟ فأجاب: إنَّ رسائل كثيرة اضطر فيها إلى التوضيح بشكل النص للاحتفاظ بروحه وجوهره وما يتناسب مع ذوق القارئ العربي، وتراثه الأدبي. ترجمت الرسائل إلى العربية مع الأخذ بالحسبان الوحدة المتكاملة للنص والابتعاد عن حرفية الترجمة للكلمات. أحاط المترجم بالشخصيات التي أرسل إليها (مارسيل) بأن يعطي نبذة عن حياتهم وعلاقتهم به، فضلاً عن جنسياتهم، وأماكن سكناهم، ودرجة القرابة بينه وبينهم كل هذا من أجل تذليل بعض عقبات فهم مضمون الرسالة. الملاحظ أن المسميات للأشخاص والأماكن والجمادات ترجمت إلى العربية من غير ذكر للمسمي الإنكليزي وهو أمر تعمده المترجم حتى لا يقطع سلسلة القارئ ويشغله بين لفظين ورسمين للاسم الواحد. أما عن طريقة دراسة هذه الرسائل وأهميتها ما سيدرس منها فقد أثرتُ أن أذكر جانباً من أدب الرسائل المترجمة. وقفت عند تقنية الوصف في رسائل (مارسيل) وبيّنت بعضاً من أنواع الوصف عنده، وعلاقة السرد بالوصف، والوصف بين التداعي والمنولوج. ختمت الدراسة بنتائج توصلتُ إليها، وبثبت بالهوامش والمصادر والمراجع.

تمهيد

قبل البدء في دراسة رسائل (مارسيل) لابد من إعطاء نبذة من حياته: ولد الكاتب والروائي والناقد والمترجم (مارسيل بروس) في مدينة أوتيل الفرنسية عام (1871م)، وله أخ واحد اسمه (روبرت) لم يحظَ بالشهرة إلا بعد رحيل (مارسيل) عندما قام بنشر بعض أعماله وترجم بعضها الآخر. لازم (مارسيل) المرض المزمن (ذات الرئة) منذ الطفولة، وعجز أبوه (أدريان بروس) الطبيب المشهور في علم الأوبئة عن علاجه. تولّت أمّه (جيني ويل) العناية به، إذ قضت معظم وقتها عند فراشه حتى لقبت من عائلتها اليهودية بـ(جيني المسكينة). كانت تؤمن بعبقريّة ابنها وتشجعه على الكتابة، وترى في ذاكرته القوية وحفظه للمسميات ورقة كتاباته مؤهلاً للنجاح مستقبلاً. وعلى الرغم من قلة ما نشر من أعماله إلا أنها تركت بصمة تدل على عبقرية وتمكنه في الرواية وأشهر ما كتب رواية (الزمن المفقود) في سبعة أجزاء كتبها ما بين عام (1913 و1918) فضلاً عن أعمال مترجمة من الفرنسية إلى الإنكليزية ومجموعة قصصية بعنوان (المتع والأيام) عام 1896م.

² د. ، جامعة بغداد، العراق، hussainlameaa@gmail.com

حصل (مارسيل) على جائزة (الغونكور) في عام 1919م وكانت هذه الجائزة بمثابة الاعتراف بكونه روائياً ومن أفضل الروائيين في داخل فرنسا وخارجها.
توفي (مارسيل) عام 1922م، وهو في عمر الخمسين (بروست، 2019، ص 10، 14، 17، 37).
سلط الضوء في هذا البحث على الجانب الوصفي في رسائله، وعن اقرب الشخصيات التي أحبها الجدة، ثم الأم، والأب، قبل أن ينتقل إلى وصف علاقاته الاجتماعية، ووصفه للأماكن والشخوص.
ركزت على الأبعاد النفسية التي أحاطت به وبخاصة عند وصف حنان أمه، استعمل تقنية (تيار الوعي) في معظم رسائله، وأحياناً يسترسل في ذكرياته.

أدب الرسائل

الرسائل من الفنون الأدبية المنتشرة في معظم اللغات وفي لغتنا العربية بخاصة كان لها الحضور البارز في صدر الإسلام، وازدهرت في العصر العباسي، وقسمت بحسب أغراضها إلى رسائل ديوانية، ورسائل أخوانية ضيف، دون تاريخ، (ص550). تحمل الرسائل العامة والخاصة في طياتها موضوعات متنوعة ويمكن عدّها الكشاف لحقائق تاريخية وتراجم لسير بعض الشخصيات.
الرسائل الشخصية، أو الخاصة تحمل معاني ومفردات تختلف عن الرسائل العامة يلجأ فيها الكاتب أحياناً إلى التندر، أو إظهار مشاعر الحب أو الحزن بلغة صريحة واضحة من دون قيود، مثل رسالة (برنادشو) إلى الممثلة (ايلين تري) عام 1938م التي أخبرها بأنه شارف على الأربعين عاماً وتغطي وجهه لحية حمراء وغدت ملامحه قاسية، لترد عليه أيتها الأيرلندي كن قوياً.. هز العالم.. أيتها "الغبي" الحبيب (خلوصي، 1982، ص65).
يتلاعب الأديب في الرسائل الخاصة بتقديم وتأخير الأحداث التي يريد إخبارها للطرف الآخر، ويكشف فيها بعضاً من أسرارها الخاصة، وأحياناً يأخذ دور الناقد في الرد على الرسائل التي تصل إليه، كما فعل (مارسيل).
أرسل (مارسيل) رسالة إلى (روبرت دي بيلي) وقبل أن يطلب منه المشورة في أمر ترك عمله قدّم رأيه في مقطوعة موسيقية سمعها من سيدة بروتستانية.
يقول (لروبرت): إنّ السيدة تتقن عزف البيانو هي رائعة ومُجيدة لهذا الفن، لقد وافقني الرأي فيها نقاد سمعوا ما سمعت، ولا يهمني رأي السيدة (ز) فيها، ثم يقول له: إني لا أطلب رأيك؛ لكي أقرر، فالانطباع الذي تركته أقوى من أن يزيله كلام شخص آخر مخالف لانطباعي.
اكتشف لك يا (روبرت) أسباب عدم بقائي في وظيفة المحاسبة التي يصرّ والدي على البقاء فيها (بروست، 2019، ص56-57). وقد اشتهرت بعض الرسائل في الأوساط الأدبية ونالت شهرةً واسعة أدى إلى نقلها إلى لغات متعددة مثل: رسائل (مارسيل) التي نقلت من الفرنسية إلى الإنكليزية ثم إلى العربية.

صعوبة ترجمة النصوص الأدبية:

تجمع الدراسات على سهولة نقل المصطلحات العلمية أو الأدبية من لغة إلى أخرى بفضل وجود المعجمات الكثيرة التي تفسر معظم الألفاظ، وفي الوقت نفسه يجد الدارسون صعوبة في نقل النصوص الأدبية من شعر ونثر من لغة إلى أخرى؛ لاختلاف طبيعة الترجمة بين المصطلح والنص الأدبي.
إنّ وظيفة المترجم في العمل الأدبي تكمن في نقله معاني الجمل أو العبارات بين لغتين، والتعبير عنها بأسلوب يقابل اللغة المنقول إليها. هذا الأمر الذي يجعل المترجم أمام أمرين، إما النقل الحرفي الذي يشوّه المعنى المراد أو يلجأ إلى مزالق وتضحية بحقيقة النص مراعاةً لسياق اللغة المنقول إليها (بشر، 2000، ص310-325).
الترجمة وأثرها في النص تكمن في تعريف الترجمة وغاية المترجم، ومحاولة تطابق المعاني في اللغتين.
أجاب الدكتور (صفاء خلوصي) عن ماهية الترجمة في أثناء تعريفه للترجمة.
" الترجمة فن جميل يعني بنقل ألفاظ ومعاني وأساليب من لغة إلى أخرى بحيث إن المتكلم باللغة المترجم إليها يتبين النصوص بوضوح، ويشعر بها بقوة كما يبينها ويشعر بها المتكلم باللغة الأصلية " (خلوصي، 1982، ص14).
يسعى المترجم إلى تحقيق غايات من ترجمته على وفق قواعد أذكر بعضها:
أولاً: إعطاء صورة قريبة للأفكار داخل النص.
ثانياً: عدم الخروج بالنص إلى أبعاد لم يقصدها الكاتب ومحاولته تقنين الاجتهاد.
ثالثاً: يحاول الاحتفاظ بأسلوب الكاتب قدر المستطاع.
رابعاً: أن يكون ذا حكمة في الزيادة والنقصان على الكلام المترجم (خلوصي، 1982، ص14-15).

أثر المترجم :

من الصعوبات التي تواجه المترجم هي صعوبة إيجاد لفظ مطابق بين لغتين؛ وذلك لأن لكل مفردة في اللغة استعمالات خاصة ودلالة تختلف من لغة إلى أخرى فضلاً عن الظواهر اللغوية لكل لغة. اللفظ المشترك في اللغة العربية مثل لفظ (عين) لا يحمل المعاني أنفسها في لغة أخرى مثل الإنكليزية. إنَّ مترجم النصوص الأدبية التي تتسم بطابع خاص مثل رسائل (مارسيل) عليه أن يراعي خصوصية وحساسية الشخصية، وعليه أن يتعامل مع النص بحرفية، وأن يستعمل المعادل الديناميكي (dynamic equivalent) والابتعاد عن المعادل الحرفي الذي يجعل المادة المترجمة باردة تفتقر إلى نكهة النص الأصلي وروحه. (Roger T.bell, P6) أخبر مترجم رسائل (مارسيل) الباحث بأنه اضطر إلى التضحية بشكل النص للاحتفاظ بروحه، وجوهه، ومراعاة ذائقة القارئ العربي وتراثه الأدبي، مثل ترجمة الرسالة التي أرسلها (مارسيل) إلى (لويزا دي مورناند) التي تحدث فيها عن الصداقة مستعيناً بصور تخالف الذوق العربي (بروست، 2019، ص180). وفعل الأمر نفسه مع رسالة (مارسيل) إلى (لويس دي روبرت) التي يتنافى مضمونها مع المعتقدات العربية (بروست، 2019، ص324).

وإذا سألنا من هو المترجم وما أثره في أدب الرسائل ؟ يمكننا القول:

إنَّه القارئ الثاني بعد الشخصية المرسل إليها بلغة جديدة وبأسلوب من اختياره لا يخرج عن مضمون الرسالة الأصلية، ودوره يأتي في الاستعمالات المجازية في بعض اللغات، والتوزيع السياقي للكلمتين تبدوان مترادفتين. وقد يواجه المترجم صعوبة إن لم يكن متمكناً من اللغتين، فلا يصح أن يترجم (poor health) بالصحة المنحرفة أو المريضة كما ترد في بعض المعجمات، بل يصفه بأنه كان عليلاً، أو صحته ليست جيدة، أو قد لازمه المرض طوال عمره، مثلاً وهناك شواهد أخرى كثيرة (عمر، ص255). في النصوص الأدبية مثل الرسائل ترد عبارات من الكلام العامي، وهو لون من ألوان المحادثة يكتبها المرسل من دون تكلف.

فيواجه المترجم صعوبة في نقل الكلام العامي، وقد يكون خاصاً بين الطرفين، ويحوي على الغاز يفهمها الجانبان. عمل المترجم هنا إما النقل الحرفي، وإنزال النص الأصلي بلغته، أو الاجتهاد في تفسير المقصود أو المراد من هذا الكلام (خلوصي، 1982، ص59).

تقنية الوصف عند (مارسيل بروست)

قبل البدء بالتقنية الوصفية نعرف الوصف في اللغة بأنه أخذ من وصفك الشيء بجليته ونعته، ومنه وصف الرجل سلعته، ووصف المهر بحسن سيره، والوصف ذكر الشيء بما فيه من الأحوال (الفراهيدي، 162/1982:7) (ابن منظور، 2011: 246-247).

والوصف اصطلاحاً: لون من التصوير الذي يخاطب العين ويعكس في الذاكرة الأشكال، والألوان، والأشياء، وظلالها، وقيل هو تشخيص للأشياء والكائنات والحوادث بعيداً عن الوظيفة الزمانية (الحمداني، 1991، ص78). قد يكون الوصف بياناً للأمر باستيعاب أحواله وضروب نعوته الممثلة له، وله أصول ثلاثة:

1. أن يكون الوصف حقيقياً بالموصوف.
 2. ألا يخرج فيه إلى حدود المبالغة.
 3. أن يكون ذا جمال ورونق (الهاشمي، 1965: 326/1).
- الوصف في معظمه وصفاً للواقع، وهو في العمل الأدبي يخلق بيئة لمجريات الأحداث، هو بمثابة إنشاء يعطي صورة ذهنية عن الأشخاص، أو أحاسيسهم، أو عن مشهد معين وزمنه (وهبه، والمهندس، 1984، ص433). يبقى الوصف نشاطاً فنياً إبداعياً يمثل الأشياء والأشخاص وهو أسلوب من أساليب القصّ قابل للسعة على وفق رؤية الأديب (مجموعة من المؤلفين، 2010، ص472). يتنوع الوصف في العمل الأدبي إلى مستويات وأنواع من النقاد من يقسمه على ثلاثة أقسام (الوصف البسيط، والوصف المركب، والوصف الانتشاري) (محفوظ، 2009، ص49-54). ومنهم من قسمه على وصف خاص بالزمان والمكان، أو وصف تصنيفي وآخر تعبيرية، أو ما يُسمّى الجمالي، وهناك نمط يقال له الوصف الحر يظهر في شكل مشهد قصير، أو لقطة (الخفاجي، 2012، ص443).

الوصف في رسائل مارسيل:

تنوع الوصف في رسائل (مارسيل)، وكان يعتقد أن رسائله الحقيقية منها والمفترضة ستقع على عين قارئ يقدر القيم الجمالية، هذا التصور دفعه إلى الإبداع في الوصف، وأحياناً يُصدر الوصف في بداية الرسالة يقول في رسالته إلى (لورا هايمان) الصديقة المقربة إلى عائلته:

"صديقتي العزيزة صديقة المسرات.. ثمة خمس عشرة زهرة من زهور الأقحوان هنا، اثنتا عشرة لك، وهي يانعة غضة أو ذابلة باهتة وثلاث زهرات تحتضن زهورك الاثنتي عشرة بسيقان طويلة جداً" (بروست، 2019، ص49).
ثم يعقد وصفاً آخر بين الزهور و(لورا) في الرسالة نفسها، فيقول: هذه الزهور الحزينة مثلك أنت حزينة. مزهوة مثلك وفخورة بجمالها (بروست، 2019، ص125).

كان (مارسيل) يكثر من وصف الزهور التي يرسلها أو ترسل إليه مثل قوله لصديقتته (ماري لوردلينكر):
صديقتي العزيزة: أرجو ألاّ تظني بأني قد نسيت وردة (مانجستر) البانعة المتفتحة ولا نباتات (فيرينكل) الذابلة؛ ليختم الرسالة بوصف الهدية المرسلة إليه من (ماري)، يقول لها:
أرجو منك أن تتقبلي امتناني الكبير لهديتك المغلفة بالأحجار الكريمة والذهب وبذكرى عزيزة غالية ترش عطرها على الهدية (بروست، 2019، ص137)

والملاحظ في معظم رسائله وبخاصة مع النساء يأتي على وصف الزهور والنباتات الجميلة ويتمنى أن تهدي له من المقربين، وصرح بهذه الرغبة في رسالته إلى (ماري نوردينكر) قال لها:
"شكراً لبسّمك غير العطري إنني أتمنى المزيد من هذا النبات بما أنه غير عطري. هذه الهدية التي تنطوي على قيمة روحانية لشخص يحب الأزهار، لكنه يخشى أريجها.
إنّ البذور والزهور والشجيرات الصغيرة التي تشبه أشجار الأقزام هي أشياء تلهم الخيال بعضها يمثل بعضهم الآخر في مستقبله وماضيه، فالشجيرات تمثل مستقبل الزهور أو البذور والتي تمثل بدورها ماضي الشجر" (بروست، 2019، ص58).

لقد وجد (مارسيل) متعته في هذه الرسائل كما أشار أحد الدارسين إلى هذا الصنف من الكتاب بقوله:
إنّ حرمان الإنسان من المتعة الجمالية ووصفه للأشياء يؤثر سلباً في صحته وقدرته على التعامل مع الآخرين (يونس، دون تاريخ، ص21-22).

لقد وجد (مارسيل) في رسائله حاجة يصف فيها نفسيته وعاطفته وبعض أفكاره إلى الآخرين مثل وصف حالته النفسية ومرضه الذي عانى منه إلى شخصيات مقربة.

كما نقل إلى صديقه المقرب (روبرت دي بيلي) فكرة نشر مجموعة قصصية قصيرة، ثم أخبره عن فكرة إهدائها إلى صديقين مقربين إلى نفسه فقال له:

"عزيزي روبرت سوف انشر في هذا العام مجموعة من القصص القصيرة التي سبق لك الاطلاع على أكثر ما فيها.."
(بروست، 2019، ص160)

ونقل أفكاره وحالته النفسية إلى السيدة التي كان يحترمها (شتراس) "سيدتي في الشهرين الأخيرين قمت بأعمال كثيرة، طبعاً بحسب ما سمحت به نوبات المرض التي تهاجمني بين حين وآخر.. سوف انشر مقالاً في مجلة (رينيسنس لاتين) في الخامس عشر من حزيران" (بروست، 2019، ص314، 74، 151)

وفي رسالته إلى (ماري نوردينكر) يبدأ بوصف حالته قائلاً:

"هذه الكلمات طالما أردتها إنني مريض جداً.. ما زلت مريضاً جداً" (بروست، 2019، ص29-30).

مميزات الوصف عند مارسيل:

امتاز الوصف عند (مارسيل) بالتنوع فاعتمد إلى الوصف البسيط مع الشخصيات التي يتجنباً مزجتها ويترك أجزاء كثيرة تحيط بالشخصية أو المكان يمكن وصفها ليركز على جزئية صغيرة واصفاً إياها بجملة قصيرة مهيمنة تحتوي على تراكيب وصفية صغيرة.

قال واصفاً صديقه (هالفي) في رسالة مطولة أنّه (رجل حكيم) تاركاً سائراً أوصافها التي ذكرها فيما بعد متناثرة في رسالته من تقلب الأطوار، والتلف إلى التعرف على الأشخاص، فضلاً عن الشك بالآخرين (بروست، 2019، ص159، 202)
يقول في أبيه وصفاً موجزاً "كان رجلاً نشيطاً" وقال في حق الدكتور (سوليير) انه "رجل ذو شخصية" (بروست، 2019، ص149).

هذا النوع من الوصف لا يخرج عن مجاوزة دلالاته المسخر لها، وهو بفضل تلاحمه مع سائر الإشارات الوصفية التي تعمدتها (مارسيل) في الشخصيات وأماكنها أتاح دلالة اجتماعية لفهم مقاصده داخل الرسالة.

لم يقف (مارسيل) عند هذا النوع من الوصف بل انتقل إلى وصف آخر أكثر تعقيدا وتشعباً يمكن ان نسميه (الوصف المتداخل) فهو ما أن يكمل الوصف حتى يعضّده بآخر وقبل أن ينتهي يعطي وصفاً مشابهاً للنمط الأول أو إشارة لتلاحم الوصفين معاً.

جاء هذا النوع من الوصف عند (مارسيل) وهو يصف صديقته (لويزا دي مورناند) ممثلة مسرح (فودفيل) في باريس، يبدأ الرسالة بتذكّر أهدى له من (لويزا)، في يوم تجواله معها في شوارع (بوليز). يصف هذا الشارع لينتقل إلى وصفها بقوله:

" كانت عيناك الجميلتان تعكسان اشراقاً شمس تورين، وكان مظهرك الرائع على خلفية القصر القديم مؤثراً ومثيراً أكثر مما لو كنت في فستان آخر؛ لقد كنت وكأنك في حلة جديدة كاملة متكاملة. لكم أرغب في رؤية تأثير الزركشة الجميلة التي تزين أحد فساتينك الزرقاء، أو الوردية التي تحسنين ارتدائها على خلفية زخارف الحجر الناعم الذي يكسو القصر القديم بالجمال والطلاوة على الرغم من قدمه وبُعد العهد به. ما أسوأ اليراع التي اكتب بها إليك " (بروست، 2019، ص 154).

أرسل (مارسيل) إلى السيدة (كاتوس) صديقة والدته التي كانت تعمل في التجارة، وتحب الزخرفة والتصميم وتقني الأنثيكات رسالة، وقد وصف داخل هذه الرسالة الكاتبة الفرنسية (دولو) قائلاً:

" متضلعة في المعارف، واسعة الاطلاع، شديدة التمسك بالتعاليم الأكاديمية التقليدية بحسب ما لقنها أساتذتها، يمكنك رؤية العلوم الإنسانية منقوشة على بوابتها، وعلى الزجاج المعتم في نافذتها الوردية؛ وسوف تعرفك على الفلسفة بواسطة سلم قياس يتكى على صدرها، أما علم الفلك فإنك سوف تتعلمه من التطلع إلى السماء، وسوف تتعلم الهندسة من بوصلة، والحساب من العدّ بالأصابع، والديالكتيك من خلال أساليب المزاوغة والحيلة " (بروست، 2019، ص 214).

ينتقل (مارسيل) في هذا النمط من الوصف إلى الأجزاء أو المكونات، ومن ثم ينتقل إلى المحيط العام للموصوف، فعل ذلك مع السيدة (شتراس) صاحبة الصالون الذي يتردد إليه.

لقد وصف في رسالة لها الشقة التي نزل فيها بدءاً من سعرها إلى لونها، وانتقل إلى مدخنتها وبيان صورها والجدران إلى أن قال: "إنها تشبه الأماكن التي يقودك فيها المرشد السياحي " (بروست، 2019، ص 288).

يظهر لنا في رسائل (مارسيل) وصف، يمكن أن نطلق عليه الوصف المشتت أو الانتشاري.

لجأ (مارسيل) إلى هذا الوصف؛ لقربه من حالته المرضية وتششت أفكاره، ووجد فيه زخماً من توالي الموصوفات في مخيلته الذهنية فضلاً عن الصور الحسية التي كان يشاهدها في محبيه فكان هذا الوصف متنفساً له.

يتمثل هذا الوصف بتوارد التفاصيل المنفلتة للأشياء والمناظر، والأماكن وهذا الوصف إلى أشبه ما يكون بتداخل حكاية ذائبة في حكاية ظاهرة ويخضع فيه الوصف أحياناً إلى السرد.

نجد هذا الوصف في رسائل (مارسيل) إلى السيدة (كاستون دي كيلافيت):

" سيدتي.. إنني أخرج من حين لآخر عندما تسنح الظروف.. من أجل أن أشاهد الزعرور البري، أو تجمع لثلاث أشجار تفاح في حلقها الجميلة تحت سماء رمادية، عندما أحول أنظاري نحو عالم البشر، وليس عالم الأشياء.

إنّ ما يحيرني هو أن فساتين النساء أقل بهجة من أشجار التفاح عندها يتولد عندي انطباع معين فأني أحتاج إلى كلمات دقيقة لترجمة ذلك الانطباع... لذلك فأنا أطلع كتب علم النبات أو كتب الفن المعماري، أو مجلات الأزياء " (بروست، 2019، ص 458).

بعث (مارسيل) إلى السيدة (الكونتيسة دي موني) رسالة وصف فيها أحد اقرب أصدقائه (كليمنت) الذي أصبح فيما بعد زوجها، وكيف سافر معه إلى (سافوي) قائلاً:

" كنا ننفق الأمسيات في سافوي مع بعض، ونحن نشاهد جبل (موبلو) الجبل الأبيض أطول جبال الألب والأكثر ارتفاعاً، عند غروب الشمس، وتخيّل ألواناً جميلة تلونه ليصبح جبلاً وردياً محاطاً بظلام الليل، كنا نرجع إلى بحيرة جنيف " (بروست، 2019، ص 459).

ثم يخبر (الكونتيسة) في الرسالة نفسها عن قطار كان يستقله متقن الصنع يختلف عن القطار الذي وصفه لها سابقاً في إحدى رسائله:

" كان قطار صغير جميل صبور ينتظر لبعض الوقت؛ ينتظر من يتأخر، بل إنّه يتوقف أحياناً حتى بعد انطلاق الصافرة؛ ليلتقط المدخنين يشبه دخان سجايرهم دخان القطار، يلتقط الركاب حتى وهو يسير بأقصى سرعته، لكن هل للقطار سرعة قصوى؟! هو يسير سير المتأني اللبيب؟ يتوقف هذا القطار في (ثونون) مدةً طويلة حيث نلتقي بأشخاص، لنصافحهم، منهم من جاء لودع ضيوفه، ومنهم من جاء ليشتري الصحف، ومنهم من لا يصلح لأي شيء سوى مصافحة الأصدقاء... هكذا تجري الحياة في محطة (ثونون) " (بروست، 2019، ص 24).

بدأ (مارسيل) وصفه للسيدة (الكونتيسة) عن شخص أقحمه في الرسالة؛ لينطلق معه في رحلة إلى (سافوي)، وبدأ يتحدث ويصف هذه الرحلة بثنائية الخطاب، ثم يصف الجبل وطوله، ويأتي بمخيلة تلوين هذا الجبل، لينتقل إلى وقت غروب الشمس وبعدها يعود إلى بحيرة جنيف. ثم يعاود الوصف مرة أخرى لقطار أقله من مكان إلى مكان، ويبدأ في وصف القطار وحالاته وكأنه يكشف عن قصة غير محكية.

إن وصف (مارسيل) المشتت للأشياء واكب الأحداث ورتبها على وفق نسق تدريجي ورصّ المشاهد بتماسك، ووضعها في إطار (القطار) الذي أطلّ به مرةً إلى حاضره وأخرى إلى ماضيه، وإن محطات الوقوف هي اللحظات التي كانت تقعه عن الحياة بسبب المرض الذي لازمه، وبين صحته وسقمه كانت محطة (ثونون) رمزية؛ للتعبير عن حياته المتأرجحة. هذه الصورة المصغرة للحياة الاجتماعية في كل العالم عند (مارسيل).

السرد والوصف في بعض رسائل (مارسيل):

الرسائل التي كتبها (مارسيل) كانت تعبر عن أحداث واقعية، أو متخيلة في أثناء تشكّلها استعمل فيها تقنية السرد والوصف؛ لأن لكل منها وظيفة تعضد الأخرى، لتشكل في النهاية إطاراً يحدد المكان، والزمان، والشخصيات، والأمكنة، وهي عناصر تشكل الفاعلية المحركة لديمومة السرد داخل الرسائل بلغة وصفية.

اعتمد (مارسيل) في رسائله سرداً مع الوصف؛ لأن الوصف الخالص من دون سرد يبعث بالملل في نفس المتلقي. جاء هذا في بعض رسائله التي يصف فيها شخصيات عاصرها وبخاصة بعض مدرسيه وبعض الكتاب. جرّد الوصف في هذه الرسائل من السرد، فكانت أشبه باللوحات المتراصة التي تعرض مشاهد مختلفة ومتتالية مثل: رسالته التي كتبها إلى زميله في الدراسة الذي أصبح فيما بعد كاتباً ومؤرخاً (روبرت دريفوس): " صديقي العزيز.. السيّد الذي أقصده في كلامي هو شخص صغير الجسم، نحيف، يتعامل بصورة رسمية جافة، غاية في الذكاء وسعة الاطلاع، وهو شخص بارع فطن، ثاقب النظر إلى درجة الدقة التامة، إنه شخص متميز جداً، فاحش الثراء، يتمتع بحيوية عالية ودهاء شديد، إنه متقدّ الذهن، بيد أنه قبل كل شيء مفكر أكثر منه فنان " (بروست، 2019، ص25)، ثم ينتقل في الرسالة نفسها إلى شخصيات أخرى مثل (بترونيوس)، و(دوبري) و(كوشيفال) الذي قال فيه: يتحلّى بأدب رفيع مع برود، وصرامة، وغلظة، وعنف، وغزارة في المعلومات (بروست، 2019، ص49، 154، 303). وهناك رسائل أخرى وصف فيها (مارسيل) جزئيات كانت محط إعجاب عنده، أو شبّه بها حالة كان يعاني منها (بروست، 2019، ص378).

وجه (مارسيل) رسالة مطولة إلى صاحبة صالون في باريس امتاز محلها بجذب الزبائن المثقفين، اسمها (ماري جيبيكي فتش) روسية الأصل.

بث في رسالته معظم الهموم التي كانت تشغله، وتعرّض لشخصيات كانت ترتاد محل (ماري) في السابق، واسترسل في وصف الأماكن، والشخصيات مع سردٍ مطولٍ، مثل قوله ل(ماري) وتذكيرها بخطيبته السابقة (البيرتين)، وكيف طلب هو الانفصال عنها؛ ليصف حالته بعدها قائلاً:

" كنت عاجزاً في الأيام القليلة التي تلت ذلك، عن السير بضعة خطوات في غرفتي حاولت ألا أقرب من الكراسي، ولا أنظر إلى البيانو، أو إلى أي شيء آخر استخدمته والذي أصبح يذكرني بها وبمغادرتها.

ألقيت بنفسي على أحد الكراسي، ما كان باستطاعتي البقاء فيه، كانت آخر مرة جلستُ فيها على هذا الكرسي عندما كانت موجودة (لقد ذهبت البيرتين) كنت مجبراً على أن أبدأ المعاناة من جديد " (بروست، 2019، ص397-398).

وقد اختلط الوصف بالسرد عند مارسيل في رسالته الموجهة إلى السيدة (شترأوس). " سيدتي لقد رأيت السيد (س) في حفلة عشاء كان يبدو وهو في ملابس المساء وكأنه (قنصلاً).

كنت أود أن أكلّمه في حفلة العشاء لكنه للأسف غادر العشاء، فقد حدثت جلسة تحضير أرواح تسبب الخدر والنوم! في نهاية الحفلة انطلقت صفارات الإنذار، كان ثمة غارة جوية للعدو.

لن أقول لك في أي اتجاه حلقت الطائرات، يميناً أم شمالاً، لكنني أصبت بالبرد؛ لأنني ذهبت إلى الشرفة وبقيت فيها لأكثر من ساعة لكي أشاهد نهاية العالم مع هذه الطائرات التي ترتفع تارةً وتهبط أخرى وكأنها تسعى إلى إكمال عدد الكواكب أو لإخفائها.

الشيء الرائع هو أننا كنا نشاهد ما يجري، وكأنه لوحة من اللوحات اليونانية حيث يطل مشهد السماء من الأعلى ومشهد الأرض من الأسفل (بروست، 2019، ص397-398).

لجأ مارسيل في معظم رسائله إلى عرض العلاقات الاجتماعية ووصفها، وإطالة السرد في جزئياتها وهو جانب نفسي كان يُفرغ في هذه الرسائل شيئاً من الكبت النفسي ونسيان المرض.

مارسيل بين تقنية المنولوج والتداعي:

من يقرأ حياة مارسيل بروسيت يلاحظ أنها شخصية تيار وعي (stream consciousness) بامتياز حيث إننا نجد تقنيات المنولوج الداخلي (Interior Monologue) وتقنية التداعي (free Association) معتمدة على الذاكرة الطويلة المدى أو البعيدة (عكاشة، 1997، ص 187).

والذاكرة الطويلة هي الذاكرة التي يقال عنها: إنها نبض علم النفس وأغلب الدراسات تعتمد عليها؛ لأنها مُعدّة لاستقبال، وتخزين، واسترجاع الأنواع المختلفة من المعلومات الحسية (برلين، 1993، ص 101).

أما المنولوج وهو أحد تقنيات تيار الوعي ويُقصد به "الخطاب الذي يختلف من المسموع وغير المنطوق الذي تعبر به شخصية ما عن أفكارها الحميمية القريبة من اللاوعي، انه خطاب لم يخضع لقوانين المنطق وجملة مباشرة خالية من التعقيد" (دافيدروف، دون تاريخ، ص 359).

كان للذاكرة الطويلة عند (مارسيل) في بعض الأحيان أثر سلبي، اذ جعلته يحيط بكل تفاصيل حياته ومعاناته من المرض، فضلاً عن حفظه سمات الأشخاص وتاريخ اللقاء بهم، ويتذكر الكلام المرسل إليهم فيواصل ما كتب في رسائله السابقة مثل الرسائل المرسلة إلى أمه (بروسيت، 2019، ص 87، 89، 91).

عانى (مارسيل) من ملازمة الذكريات التي تصل إلى الطفولة، وذكرى رحيل والدته الذي اثر في حياته بشكل كبير حيث أصيب بعدها بانهايار عصبي افقده قدرة التواصل مع الآخرين لمدة عامين.

إنَّ هذه الشخصية المأزومة جعلته يهجر فكرة الزواج والبقاء وحيداً؛ ليصبح شخصية مضغوطة وناقمة في بعض الأحيان.

وجد (مارسيل) في كتابة الرسائل استفرغاً للكبت النفسي، والملاحظ أنَّ بعضاً من رسائله تقع بين المنولوج والتداعي الحرّ. يظهر عنده على شكل صورة أو لفظة أو وصفٍ بعيدٍ أو قريبٍ للاماكن والشخصيات والأحداث، فالتقنيات النفسية أكثر ما ظهرت في رسائله الذاتية.

أرسل (مارسيل) رسالة إلى (الكونتيسة دين ويل) الشاعرة وكان معجباً جداً بعبريتها، مثلما كانت تبادلها شعور المحبة حتى قالت عنه: "يجعلني أغير من أبيات شعري أو احذف مقطعاً شعرياً كاملاً" (بروسيت، 2019، ص 126).

يبادلها (مارسيل) بالقول: (لا حدود للطفك وأريحيته) ثم يبين لها مدى السعادة التي أحسها وهو يتغذى معها، ثم لينتقل بكتابته لها إلى شعوره ونظرته للحياة ويترك الخطاب الرومانسي معها.

"أشعر بين الفينة والأخرى أن تلك الحياة لا تمنحنا مسراتها إلا بعد دفع الثمن دون حتى أن نستمتع بتلك المسرات أتمنى أن اعتزل العالم في دير كبير" (بروسيت، 2019، ص 127)، ثم يسترسل في إخباره لها بأنه أتم قراءة (تاريخ اللجان الثورية)، وتأثر بمعاناة المساكين الفلاحين. ويقطع حديثه، ليخبرها بمنظر دير الكنيسة الذي أثار إعجابه، وما أن يتم فكرته حتى ينتقل إلى إخبار (الكونتيسة) عن جهله بالتاريخ وانه قرأ مؤخراً كتاب (سجلات قديمة).

ويختتم الحديث معها بقوله: سيدتي إنك لست كاهن اعتراف، لا أدري إنني أحاول أن اخفف من اندفاعي المتهور نحوك (بروسيت، 2019، ص 127-128).

يبوح (مارسيل) دائماً بوصفه لمرضه وكيف حرمه من الحياة وتنظيم العلاقات مع محبيه، وكيف حرمه لذة النوم العميق كان يُشخص حالته ويصفها بلغة حوار داخلي يخرج به كلمات مجتزئة مثل قوله عن نفسه "أصبحت خلوتي أكثر عمقاً وأنا لا أعرف شيئاً" (بريه، 2018، ص 90).

وقال: "إن كسلي يمنعي من كتابة أشياء تسبب لي الضرر" (بروسيت، 2019، ص 339) وقوله معتذراً للسيدة (شتراس): "أرجو منك أن تعذريني وأنا اكتب لك هذه التفاصيل المملة لكنني أشعر بتعبٍ من هذا الوضع فضلاً عن أنني مصاب بحمى شديدة" (بروسيت، 2019، ص 214).

وخاطبها في رسالة تلتها: "لدي الكثير مما أحب أن أخبرك به وأطلعك عليه بيد أن التعب والإرهاق أخذوا مني كل مأخذ" (بروسيت، 2019، ص 215).

يظهر المنولوج في بعض رسائل (مارسيل) في صيغته غير المباشرة عن طريق استعمال ضمير الغائب والمخاطب بدل الصيغة المباشرة في ضمير المتكلم.

كتب إلى إحدى صديقاته رسالة وهي نوع من إسقاط المكبوت النفسي عنده فكانت بلا جواب أو ردٍّ منها مثلاً:

افتتح رسالته "عزيزتي، عزيزتي، عزيزتي، عزيزتي، ماري

هل أخبرك (رينالدو) بأنني أرسلت أكثر من رسالة لكنني كالعادة لا أتلقى إجابة، عزيزتي ما أقربك إلى قلبي وما أقل تأثير غيابك عليّ، فما تبادر النسيان إلى خاطري على الرغم من طول الفراق" (بروسيت، 2019، ص 219).

إن غلبة التداعي والمنولوج في معظم رسائله واسترجاعات الماضي في خطاباتاته جعلت من (مارسيل) في الأوساط الأدبية الشخصية التي تستمد أعمالها من وحي الخيال، مثلما عدته عائلته العليل المسافر في عالم الخيال. (بروسيت، 2019، ص 261).

الخاتمة

توصلت في هذا البحث إلى نتائج منها:

1. رسائل (مارسيل بروست) دليل على سعة اطلاعه، ويمكن عدّها وثائق سياسية معبرة عن حالة اجتماعية في ذلك الوقت.
2. رسائل مارسيل حوت على العديد من الشخصيات ولكل منها اختلاجاتها وانفعالاتها الخاصة، خاطبها (مارسيل) بأسلوب متنوع مع مراعاة جوانبها النفسية.
3. الرسائل المرسلّة من (مارسيل) التي لم يرد فيها جواباً كانت أشبه بعلاج نفسي لحالته حيث اسقط كثيراً من أزماته النفسية فيها.
4. هيمن الوصف للأشخاص والأماكن والأشياء في معظم رسائل (مارسيل) فضلاً عن تدوين الزمن المرسل والمستلم لتلك الرسائل.
5. ترجمة الرسائل النصية من دون ترجمة سيرة الأشخاص المرسل إليهم كادت أن تعرض الرسائل لحالة من الغموض واللبس.
6. بقيت الشخصيات المؤثرة في حياته متكررة في أكثر رسائله وبخاصة الأم والسيدة (شترأوس) صديقته المقربة.
7. كان للذاكرة القوية أثر في تقنية تيار الوعي، إذ تمكن من است فراغ حالته النفسية في رسائل كانت توحى بتوقف مسيرة تدفق الأحداث.
8. رسائل (مارسيل بروست) أرخت الكثير من الحوادث وبخاصة الأحداث التي سبقت الحرب العالمية الأولى، ورصدت الأوضاع التي كانت سائدة في فرنسا.

ثبت المصادر والمراجع

- Roger T.bell, "Translation an Tramslating: Theory and practice" Uk: longman, 1993.
- ابن منظور، جمال الدين الأنصاري (ت711هـ)، (2011): لسان العرب، حقق وعلق عليه: أحمد سالم الكيلاني، مركز الشرق الأوسط الثقافي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
- برلاين (1993): علم النفس المعرفي، ترجمة كريم بدير، عالم الكتب، بيروت.
- بروست، مارسيل (2019): رسائل مارسيل، ترجمة: ربيع صالح، دار الرافدين، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى.
- بريه، جيرمن (2018): مارسيل بروست والتخلص من الزمن الضائع، تحقيق: نجيب المانع، دار الرافدين للطباعة والنشر - العراق.
- بشر، د. كمال (2000): علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- الحمداي، د. حميد (1991): بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى.
- الخفاجي، أحمد رحيم كريم (2012): المصطلح السرد في النقد الأدبي العربي الحديث، مؤسسة صادق الثقافية، الأردن، الطبعة الأولى.
- خلوصي، د. صفاء (1982): فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد - العراق.
- دافيدروف، ليندال (دون تاريخ): مدخل إلى علم النفس، ترجمة: سيد الطواب، الطبعة الثانية، القاهرة.
- ضيف، شوقي، (دون تاريخ): الادب العباسي الثاني، الطبعة الرابعة، القاهرة.
- عكاشة، أحمد (1997): علم النفس الفيلوجي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الاولى.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت170هـ)، (1982): العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، الناشر، دار ومكتبة الهلال.
- مجموعة من المؤلفين (2010): معجم السرديات، أشراف: محمد القاضي، الناشر دار الفارابي-لبنان، الطبعة الاولى.
- محفوظ، عبد اللطيف (2009): وظيفة الوصف في الرواية، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى.
- الهاشمي، أحمد (1965): جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مطبعة السعادة، مصر.
- وهبة، مجدي، والمهندس، كامل (1984): معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية.
- يونس، علي (دون تاريخ): نبذة في اللغة والأدب ونصوص معاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة.